● دراسات فلكية إسلامية :

الوجه الفلكى للمؤرخ النجدى عثمان بن عبدالله بن بشر

أ. عبد الرحمن حمد السنيدي

تمهيـد :

يحبب الله جلت قدرته العلم لأفئدة مريديه ويفتح لهم آفاق سماواته ويذلل لهم مطايا ودروب أراضيه. وتحيط الحيرة ببال المطلع على حياة وسير أسلافنا الصلحاء الأجلاء لغزارة معارفهم وتعدد جوانب اهتماماتهم ومشاربهم، ويزيد عجبه أن يكون هذا العطاء الثر الأصيل أخصب وأينع في أرضية تلكم الظروف الشحيحة.

ومن أولئك العلماء الأجلاء الشيخ عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بشر النجدي (١٢١٠/١٢٩٠هـ)(١).

عرف الشيخ عثمان في عالم التأريخ بكتابه (عنوان المجد في تأريخ نجد)، ومعروف أنه من أهم وأصدق المصادر القليلة في تأريخ الجزيرة العربية، وبالأخص تاريخ الدولة السعودية الميمونة في دوريها الأول والثاني. وذلك خلال ظُلَمٍ من الزمان ندر فيها التدوين. والحق أنه كنز لايقدر بثمن نفع الله به هذه البلاد، فحفظ كثيراً من ماضيها وكفاحها المشرق.

وشهرة ابن بشر التأريخية صرفت أكثر عارفيه عن جوانب معارفه واهتماماته الأخرى، فكان له **إسهام واضح** في علم الفلك (الهيئة) وهو أحد المهتمين بالملاحظات والظواهر الفلكية، ومن المجيدين لحساب النجوم (البروج والأنواء). وسنعرض هذا الجانب الفلكي عند ابن بشر رحمه الله محاولين جلاءه وتأكيده. سيما وأن من ترجموا له لم يتعرضوا لهذا الجانب. وسيكون هذا العرض من منظورين :

المنظور الأول: الجانب الفلكي في الآثار التي تركها ابن بشر رحمه الله.

والمنظور الثاني: إبراز مافي كتابه التاريخي (عنوان المجد) من تقييدات وفقرات فلكية وتحليلها.

المنظور الأول: مؤلفات ابن بشر :

قال عبد العزيز بن عيبان ناسخ مخطوطة (عنوان المجد) الموجودة بالمتحف البريطاني بلندن وهي التي اعتمدها فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ(٢) ما يلي: «صنف مصنفات عديدة ونسخ نسخاً مفيدة منها :

☐ هذا الكتاب (عنوان المجد في تأريخ نجد) جعله مجلدين.
☐ وصنف أيضاً كتاباً في الخيل سماه (سهيل في ذكر الخيل) في سبعة كراريس.
☐ وكتاب (الإشارة في معرفة منازل السبعة السيارة) في نحو أربعة كراريس(٣).
☐ ووضع ورقة في الحساب محتوية على الجداول سماها (بغية الحاسب).
☐ وكتاب (مرشد الخصايص ومبدي النقايص) في الطفيليين والثقلاء.
☐ وفهرس طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب جعل تراجمه على حروف المعجم.
☐ وله رسائل ونبذ عجيبة». ا.هـ.

ومن خلال هذا السرد السريع لمؤلفات ابن بشر رحمه الله يتبين أن له أثرين خاصين بعلم الفلك، والثالث (سهيل في ذكر الخيل) ويلمح في هذه التسمية أثر الميل الفلكي. وأن له رسائل ونبذاً لم تعرف مضامينها ولعل منها أشياء فلكية.

- والأثر الأول (الإشارة في معرفة منازل السبعة السيارة) واضح من عنوانه أنه في الفلك وفي

فرع (الحساب الفلكي ومعرفة المنازل والبروج والأنواء). ولا أعلم مصير هذا الكتاب الثمين.

والكواكب السبعة تسمية قديمة لألمع الأجرام السماوية المتحركة، وذلك قبل اختراع المنظار المقرب، وهي على ترتيب الرؤية الظاهرية في الوضوح للعين المجردة: الشمس، القمر، الزُّهَرَة، المشتري، المريخ، عطارد، زحل.

وهي تتحرك عكس اتجاه دوران الكرة الأرضية حركة ظاهرية (ليست حقيقية) على الدائرة الكسوفية وتسمى دائرة البروج. وقد قسمت دائرة البروج إلى اثنى عشر برجاً (وجعلوها منازل للشمس) وقسمت هذه البروج إلى ثمان وعشرين منزلة (جعلوها منازل للقمر).

وعدد أيام كل منزلة ثلاثة عشر يوماً فيكون حاصل ضرب عدد المنازل في عدد أيامها (٢٨ × ١٣ = ٣٦٤) ثلاثمائة وأربعة وستون يوماً ويزاد يوم في منزلة المنازل، في منزلة القلب عند أكثر أهل الحساب. فيصبح المجموع (٣٦٥ يوماً) وهي مجموع أيام السنة الشمسية تقريباً(٤)، ويتضح هذا الحساب في الأشهر العربية الهجرية الشمسية :

الحمل ــ الثور ــ الجوزاء ــ السرطان ــ الأسد ــ السنبلة ــ الميزان ــ العقرب ــ القوس ــ الجدي ــ الدلو ــ الحوت ــ .

● **والأثر الثاني (بُغية الحاسب) :**

وأكثر من ترجموا لابن بشر جعلوها رسالة في الحساب أي علم الرياضيات، ورسموها بزيادة ميم قبل الحاء (المحاسب) هكذا. وقد يكون هذا الرسم سبب جعلهم إياها في الحساب. كما في طبعات مكتبة الرياض الحديثة، والأعلام للزركلي (ص ٢٠٩ ط: ٥).

وأرجح، بل أكاد أجزم، أنها جداول (أزياج)(٥) في الحساب الفلكي (حساب المنازل والبروج) لا حساب المسائل الرياضية. وذلك لما يلي :

أ ــ أن ابن عيبان رسمها في مخطوطة لندن (الحاسب)(٦) وهذه النسخة فرغ من خطها سنة [١٢٧٠هـ] قبل وفاة ابن بشر بعشرين عاماً(٧).

ب ــ أن ابن عيبان نص على أنها في ورقة، وأنها محتوية على الجداول وبدهي أن ابن بشر أو

غيره لن يعطي بغيةً من علم الرياضيات في ورقة، أما أن تكون جداول لحساب الفصول والأنواء (زيج فلكي) فأمر ممكن، ومعظمنا يحمل في جيبه جدولاً صغيراً جداً لتقويم سنوي كامل.

جـ ــ الاتجاه للحساب الفلكي عند ابن بشر في تأريخه عنوان المجد، وكذلك وجود مؤلف كامل له مستقل في هذا الفن (الإشارة في معرفة منازل السبعة السيارة).

د ــ ما يُعرف إلى اليوم لدى كبار السن من الحَسَّابين بحساب ابن بشر وقد أخبرني الشيخ محمد بن عبدالله بن مقرن متع الله به، وهو من أهل هذا الفن: أن من جملة الحسابات التي يعتمدها حساب عثمان بن بشر، وسألته هل هذا الحساب موجود مدون فلم يتذكر، وظن أنها تلك الرسالة، وقد يكون أثر آخر لابن بشر عفت عليه الأيام، يتداوله الناس مشافهة.

المنظور الثاني: إبراز واستعراض ماورد في كتاب (عنوان المجد في تأريخ نجد) من الفقرات والتقييدات والرصدات الفلكية:

مع أن كتاب عنوان المجد تأريخي في موضوعه ومنهجه وأساس وضعه، فقد قصد به ابن بشر رحمه الله تدوين الحوادث السياسية والاجتماعية(٨). إلا أنه قد احتوى بحكم ميل المؤلف ومعرفته على تقييدات ونقولات ورصدات فلكية مهمة جداً لذوي الاختصاص الفلكي وهي جديرة بالدراسة والتحليل.

وماوجود هذه الفقرات الفلكية بهذه الكثرة وهذه الدقة والتفصيل إلا مؤشر يؤكد اهتمام هذا العالم المؤرخ، وميله القوي لعلم الفلك وحساب الأنواء وتمكنه من ذلك.

وقبل هذا الاستعراض يحسن بنا أن أضع بعض الملاحظات أمام القارىء الكريم.

●● تركت نصوص ابن بشر كما هي، من الناحية التعبيرية والنحوية.

●● تتبعت ماورد في عنوان المجد من التقييدات والفقرات الفلكية فألفيتها، وهي منثورة في حوادث السنين، يمكن أن تنسق على خمسة أنواع:

☐ **النوع الأول:** يتعلق بظاهرتي الكسوف والخسوف.

□ **النوع الثاني**: يتعلق بالغيارات السماوية.

□ **النوع الثالث**: يتعلق بالشهب والنيازك.

□ **النوع الرابع**: يتعلق بالمذنبات.

□**النوع الخامس**: يتعلق بالأنواء وحساب البروج والمنازل.

وقد فصلت كل نوع على حدة زيادة في الإبراز والإيضاح.

●● راعيت في عرض هذه التقييدات التسلسل الزمني التصاعدي حتى تتبين تواريخ تلك الظواهر الفلكية بصورة زمنية واضحة بالتاريخين الهجري القمري والميلادي الشمسي(٩) حتى تسهل دراستها ومقارنتها بغيرها من التقييدات الفلكية والمناخية في كتب الفلك والتأريخ وغير ذلك من كتب التراث لدى علمائنا المسلمين الأجلاء.

●● اعتمدت في هذا الاستعراض الحصري النسخة التي طبعتها وزارة المعارف الجليلة على نفقتها، وأحسن تحقيقها فضيلة الشيخ: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ أثابه الله جزاء خدمته للعلم والعلماء، ذلك أن هذه النسخة أوفى وأصح النسخ المطبوعة حسب علمي.

□ **النوع الأول ﴿الكسوف والخسوف﴾**:

١ ـ ١٠٩٦هـ = ١٦٨٤م ـ «وفيها كسف(١٠) القمر مرتين» العنوان ج ٢/ ٢١٦.

٢ ـ ربيع الآخر ١١٠٧هـ = ١٦٩٥م ـ «وفيها خسف القمر والشمس في شهر واحد وهو ربيع الآخر» العنوان ج ٢/ ٢٢٢.

٣ ـ لية الخميس ١٤ محرم ١٢٠٨هـ = ١٧٩٣م ـ «وفيها خسف القمر ليلة الخميس أربع عشر المحرم».

٤ ـ يوم الخميس آخر محرم ١٢٠٨هـ = ١٧٩٣م ـ «.. وكسفت الشمس آخر الشهر [محرم] يوم الخميس [٢٨ محرم]..» العنوان ج ١/ ١٣٣.

٥ ــ عصر رمضان ١٢٢٣هـ = ١٨٠٨م ــ «وفيها كسفت الشمس في شهر رمضان عصراً» العنوان ج ١/ ١٩٢.

٦ ــ الاثنين آخر المحرم ١٢٢٧هـ = ١٨١٢م ــ «.. كسفت الشمس يوم الاثنين آخر المحرم» العنوان ج ١/ ٢١٤.

٧ ــ الضحى ٢٩ رجب ١٢٢٩هـ = ١٨١٣م ــ «.. وفي ٢٩ رجب كسفت الشمس وقت الضحى كسوفاً لم يعهد وانظمت بالكلية وأظلمت الأرض وظهرت النجوم..» العنوان ج ١ / ٢٤٢.

٨ ــ ١٢٣٠هـ = ١٨١٤م ــ «.. وفيها خسف القمر خسوفاً شديداً ولم يبق منه إلا مثل النجم» العنوان ج ١/ ٢٥٢.

☐ **النوع الثاني: «الغَيَارات السماوية»:**

ويقصد بها ابن بشر رحمه الله ما يعرض لأديم السماء وآفاقها من التقلبات.

١ ــ ليلة الجمعة ٢٢ عاشوراء (محرم) ١٠٥١هـ = ١٦٤٢م ــ «.. وقع ظلمة عظيمة مع حمرة لثمان بقين من عاشوراء، ظن الناس أن الشمس غابت ولم تغب..» العنوان ج ٢/ ٢٠٦.

٢ ــ ليلة ٢٥ آخر صفر ١٢٤٧هـ = ١٨٣١م ــ «.. وفي هذه السنة حصل في السماء غيارات عند طلوع الشمس وعند غروبها ففي آخر صفر ليلة خمس وعشرين منه صار في السماء والأرض نور قريب من نور القمر واستمر ذلك إلى آخر الشهر وعجب الناس من ذلك» العنوان ج ٢/ ٥٣.

٣ ــ ربيع الأول ١٢٤٧هـ = ١٨٣١م ــ «.. وفي هذا الشهر صار في الأفق حمرة زائدة بعد غروب الشمس وقبل طلوعها واستمر أياماً وشوهد قبل انفجار الصبح حمرة بادية من جهة الشمال ليس هي من جهة الفجر نحو ثلاثة أيام» العنوان ج ٢/ ٥٣.

٤ ــ بعد صلاة المغرب، ١٥ ربيع الأول ١٢٤٧هـ = ١٨٣١م ــ «.. وفي النصف من هذا

الشهر بعد صلاة المغرب ظهر من الأفق حمرة عظيمة من جهة الجدي ثم سارت إلى المغرب وأضاءت الأرض والجدران واخضرت ثم احمرت حتى ظن الناس أن الشمس لم تغب» العنوان ج ٢/ ٥٣.

٥ ـ ٧ ربيع الأول ١٢٤٧هـ = ١٨٣١م ـ «. . صار قتر في السماء وتغيرت الشمس» العنوان ج ٢ / ٥٣.

٦ ـ ٢١ ربيع الأول ١٢٤٧هـ = ١٨٣١م ـ «. . وأول العشر الأواخر من هذا الشهر ظهرت الشمس من الشرق خضراء كأنها قطعة زجاج وصارت تلك الخضرة في الأرض والجدران وحسبها أكثر الناس كسوفاً» العنوان ج ٢/ ٥٣.

٧ ـ ١٢٤٨هـ = ١٨٣٢م ـ «. . وفيها ظهر في الشرق والغرب أيضاً صفرة وحمرة بعد الغروب ودامت أشهر» العنوان ج ٢/ ٥٦.

☐ النوع الثالث: ﴿الشهب والنيازك﴾ :

والشهب أجرام سماوية صلبة تسبح في الفضاء لاتحصى عدداً. تتفاوت أحجامها بين حبات الرمال وبين كتل هائلة تزن مئات الأطنان تتأثر بجاذبيات الكواكب فتسقط عليها. ولا نستطيع رؤية هذه الأجسام إلا إذا دخلت غلافنا الجوي ليلاً فنراها كشهب تمرق وامضة وبعضها ينفجر ويتناثر محدثاً دوياً وفرقعة. وإذا وصل إلى سطح الأرض من مادتها شيء سمى نيزكاً أو حجراً سماوياً. فالنيزك مادة الشهاب المرتطمة بالأرض. ومن نعم الله الكبرى علينا وجود الغلاف الجوي الذي يحمينا.

ومصدر الشهب، الأجرام السماوية كالمذنبات المتفتتة والكويكبات المتحطمة.

«الشهب والنيازك»

١ ـ ٢٤١هـ = ٨٥٥م ـ «. . وذكر القطب الحنفي في تأريخ مكة المكرمة في ترجمة المتوكل بن المعتصم قال: (وفي أيامه وقع عجائب منها: أن النجوم ماجت في السماء وتناثرت الكواكب ورميت قرية السويداء بأحجار من السماء فلو وزن حجر منها لكان عشرة

أرطال) . .» العنوان ج ٢/ ٥٦ .

٢ ـ سلخ محرم ٥٩٩هـ = ١٢٠٢م ـ «. . وذكر اليافعي في تأريخه والسيوطي في تأريخ الخلفاء وصاحب تأريخ الخميس، أنه في سنة تسع وتسعين وخمسمائة سلخ المحرم ماجت النجوم وتطايرت تطاير الجراد ورام ذلك إلى الفجر وانزعج الخلق وضجوا بالابتهال إلى الله . .» العنوان ج ٢ / ٥٦ .

٣ ـ نصف الليل ١٢٤٨هـ = ١٨٣٢م ـ «. . بعدما مضى نصف الليل تطايرت النجوم في السماء وكأنها الجراد أو كأنها شعل النار، وقدح الزند من جميع جهات السماء كلها، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وصار فيها شهب عظيمة تنقض وتضيء بالأرض، ويبقى موضع الشهاب ساعة لايزول وانزعج الناس لذلك واستمر بعد اسفرار الصبح . وأخبرني من أثق به أنه رأى شهباً تنقض بعدما طلقت الشمس يراها كأنها الدخان» العنوان ج ٢ / ٥٦ .

□ النوع الرابع: ﴿المذنبات﴾ :

المذنبات من آيات الله عز وجل الكونية الكثيرة، المثيرة للدهشة والباعثة على التأمل والإيمان .

وهن أجرام مضيئة لها ذيول طويلة لامعة كأنصال السيوف، وقد تستمر رؤية المذنب في السماء عدة أسابيع يتنقل في السماء ببطء نظراً لبعده . ويتكون المذنب من: نواة صلبة كمواد الشهب والنيازك وغلاف لهذه النواة من الثلج، وذيل مادته خفيفة جداً ومخلخلة حتى أنها لاتحجب رؤية النجوم التي وراءها، ويكون ذيل المذنب في الاتجاه المضاد للشمس دائماً ويطول كلما اقترب المذنب من الشمس ويقصر كلما ابتعد عنها . والمذنبات تفوق الحصر وقد زار كوكبنا الأرضي من كبارها أعداد كثيرة سميت بأسماء الفلكيين الذين رصدوها ودرسوها منها: مذنب دوناتي عام ١٨٥٨م، مذنب موهارس عام (١٩٠٨م)، مذنب مركس ١٩٥٧م، مذنب كهوتيك عام ١٩٧٣م . . الخ ومذنب أدموند هالي من أشهرها يتم دورته خلف فلك الكوكب (نبتون) كل ٧٥ سنة و١١ شهراً .

المذنبات

١ ــ أول ١٠٢٧هـ = ١٦١٧م ــ «وذكر الشيخ مرعي بن يوسف في تاريخه قال: وفي أول سنة ١٠٢٧ ظهر في الشرق عمود أبيض مستطيل كطول المنارة فأرجف المنجمون بأراجيف وظنوا وقوع أمور مهولة وكذبوا والله. وصدق القائل:

أطلاب النجوم أحلمتونا   على خبر أرق من الهباء
كنوز الأرض لم تصلو إليها   فكيف وصلتمو خبر السماء

ولم ير المسلمون إلا خيراً» العنوان ج ٢/ ١٣٧.

٢ ــ قبيل الفجر آخر ١٠٢٧هـ = ١٦١٧م ــ «.. قال مرعى بن يوسف في تأريخه: وفي آخر سنة ١٠٢٧ طلع نجم في السماء قبيل الفجر عمود أبيض مستطيل كطول المنارة عدة ليال» العنوان ج ٢/ ١٩٦.

٣ ــ ١٠٢٧هـ = ١٦١٧م ــ «.. [وكلام مرعى السابق متصل] ثم طلع نجم بعده له ذنب يضيء مستطيلاً جداً فأرجف المنجمون» العنوان ج ٢/ ١٩٦.

٤ ــ ١٨ جمادى الآخرة ١٠٩١هـ = ١٦٨٠م ــ «..وفيها طلع نجم له ذنب في القبلة» العنوان ج ٢/ ٢١٤.

وهذه سنة سابقة لم يصرح فيها بمصور النقل وقد يكون نقله عبد العصامى لأن الكلام السابق له.

٥ ــ طلوع الفجر ١٢٥١هـ = ١٨٣٥م ــ «..وفيها ظهر نجم له ذنب طويل مع بنات نعش وقت طلوع الفجر، وكان يسير كل يوم أكثر من منزلة. وسار إلى جهة الجنوب ثم توسط القبلة عند العشاء الآخرة ثم غاب وأقام أكثر من شهر، وكان طلوعه لاثنتى عشر بقيتا من جمادى الآخرة..» العنوان ج ٢/ ٨٧.

٦ ــ بعد صلاة المغرب صفر ١٢٥٩هـ = ١٨٤٣م ــ «..وفي أول هذه السنة ظهر أول يوم من صفر بعد صلاة المغرب في وسط القبلة عمود أبيض مستطيل من الأفق إلى وسط

السماء مثل المغارة في رأي العين. وانزعج الناس وكثر التنافس في طلوع هذه الآية ودام ذلك إلى طلوع صفر ولازل يضمحل شيئاً فشيئاً..» العنوان ج ٢/ ١٣٧.

□ النوع الخامس: ﴿الأنواء وحساب المنازل والبروج﴾:

وهو حساب دخول وخروج الأنواء والأوقات والفصول، وما يصاحبها بتدبير الحي القيوم وحكمته من الاختلافات المناخية كالرياح والأمطار والبَرَد والحر والقر وما يتبع ذلك من خصب وجدب.. الخ.

وهذا النوع يلحظ بكثرة ووضوح في تأريخ ابن بشر لاهتمامه بالحساب الفلكي من جهة، ولأن هذا النوع على مدار السنة من جهة أخرى وهذا الحساب معروف في نجد (وسائر أقطار الجزيرة العربية)(١١) وله أساطينه وأهل الفلاحة عموماً يعرفون مايتعلق بأوقات البذور والسقى والحصاد. وحساب الحَرَّات، والراعي، والخلاوى، وحساب أهل البحر كلها أمور مشهورة. ويتضح ميل ابن بشر لهذا الفرع الهام النافع من علم الفلك. ويتبين من تفصيله لكثير من هذه الأمور أنه حيسوب ماهر لدخول وخروج البروج والطوالع والأنواء والقرانات ومنازل الشمس والقمر. وقد أسلفت أن الشيخ محمد بن عبدالله المقرن حدثني عن ابن بشر، أن له حساباً معروفاً لدى حسابي الفلك النجديين وأنه هو يعتمد حساب ابن بشر ضمن الحسابات الفلكية التي يجريها وهذا يعني أن لابن بشر طريقة حسابية معروفة.

ويتضح من إمعان النظر فيما أورده ابن بشر من حساب المنازل والأنواء (وجملة ماقيده من أمور فلكية) أنه رحمه الله يقوم فعلاً برصد ومتابعة متأنية لحركات الأجرام السماوية وكل هذا يرجح أن رسالته (بغية الحاسب) تقويم حسابي فلكي وليست مسائل حسابية رياضية.

الأنواء (أو الأحوال المناخية عامة وما يتعلق بها من حساب الفصول والمنازل).

١ ـ ١٠٩١هـ = ١٦٨٠م ـ «.. وقع بمكة سيل عظيم أغرق الناس. قال العصامي في تأريخه :

وأضر الدور وأتلف من الأموال مالا يحصى، وأغرق نحو مائة شخص وهدم نحو ألف بيت، وعلا على مقام ابراهيم وعلا قفل باب الكعبة وشاهدت وأنا على باب المسجد النافذ على البيت الشريف والماء يملأ الطريق وهو يكون في المسجد وأقطار من الجمال عليها الركبان دهمها السيل ورأيت الماء وصل من الجمل وهو قائم إلى منخره، ثم زاد واقتلع القطار بما عليه وسبح بعض الجمال حتى أتى المنبر فارتفع عليه وصارت يداه وعنقه مرتفعان» العنوان ج ٢/ ٢١٤.

٢ ـ ١١٠٠هـ = ١٦٨٨م ـ «وفي هذه السنة نزل مطر دقيق وبَرد شديد وجمد المطر فوق أعساب النخيل وغيرها، حتى على أهداب عيون الإبل وسميت سنه سليسل» العنوان ج ٢/ ٢٢٠.

٣ ـ ١١٠٨هـ = ١٦٩٦م ـ «وفيها تأخر نضاج الرطب في النخل ولم، يشبع الناس إلا بعد سبعة عشرة يوماً من ظهور سهيل»(١٢) العنوان ج ٢/ ٢٢٣.

٤ ـ ١١٢٢هـ = ١٧١٠م ـ «وفيها أنزل الله بَرَداً، بفتح الراء، وأذهب زرع ملهم، وهب ريح شديدة تكسر منها نخيل كثيرة في البلدان وهدمت قصر رغبة» العنوان ج ٢/ ٢٣٠.

٥ ـ ١١٢٣هـ = ١٧١١م ـ «وفيها أنزل الله سيلاً وسيماً أغرق منزلة أهل حريملاء وهدم البيوت والمساجد وأوقع الله بَرْداً، باسكان الراء، أهلك من الزرع ماكان في سنبله. ثم أنزل الله في الصيف غيثاً أعظم من الأول وأصلح الله الزرع وحصلت بركة عظيمة، قيل إن محصول الغَرْب في بلد ضرماء أكثر من ألفي صاع وأرخص الله الأسعار» العنوان ج ٢/ ٢٣٠.

٦ ـ محرم ١١٢٧هـ = ١٧١٥م ـ «وفي أولها في المحرم حصل بَرْد، بإسكان الراء، أخذ بالنخيل وكسر الصهاريج الخالية من الماء وجمد الماء في أقاصي البيوت الكنينة وذلك من

الخوارق» العنوان ج ٢/ ٢٣٢.

٧ــ ١١٥٥هـ = ١٧٤٢م ــ «صار في نجد حضب، وجاء الخرج سيل أخرجه وهي سنة خيران المشهورة كثر فيها الأمطار والسيول حتى أن بعض بلدان نجد قاموا قريب شهر ماطلعت عليهم الشمس» العنوان ج ٢/ ٢٤١.

٨ــ ١١٦٢هـ = ١٧٤٨م ــ «.. وفيها وقع بَرْد، بإسكان الراء، أهلك غالب الزروع وهي مبدأ الغلاء والقحط المسمى شيته..» العنوان ج ١/ ٣٧.

٩ــ ١١٩٧هـ = ١٧٨٢م ــ «وهذه السنة هي أول القحط المسمى دالوب قل فيه الأمطار وغلت الأسعار واشتد الغلاء والقحط والجوع في السنة التي بعد هذه واستمر إلى تمام إلى المائة [أي إلى سنة ١٢٠٠] وبلغ سعر الذرة والحنطة مدين بالمحمدية والتمر وزنة ونصف ومات أناس جوع من النساء والرجال والأطفال والبهائم فأمر عبدالعزيز بصدقات للضعفاء من أهل البلدان نرق عليهم شيئاً كثيراً رحمه الله» العنوان ج ١/ ٩٦.

١٠ــ ١٢٠٠هـ = ١٧٨٥م ــ «وفيها رجعان الوقت المشهور دولاب(١٣) وكثر فيها الحضب ورخص الطعام» العنوان ج ١/ ٩٧.

١١ــ ١٢١١هـ = ١٢٩٦م ــ «وفيها أنزل الله سبحانه سيلاً عظيماً أشفق منه كثير من أهل البلدان وغرق منه حلة بلد الولم ومحاها ولم يبق من بيوتها إلا القليل وذهب لهم أموال كثيرة من الطعام والأمتعة ونزل على بلد حريملاء بَرَد لم يعرف له نظير وخَفَّسَ السطوح وقتل بهائم وكسر عسبان النخل والأشجار وهدم الجدران حتى أشرفوا على الهلاك ورحمهم الله.

ثم جاء في الصيف سيل عظيم أشفق منه أهل البلدان وهدم بعض حوطة بن تميم وذهب بزروع كثيرة محصورة وجاء في وادي حنيفة سيل عظيم هدم في الدرعية بيوتاً وارتفع على الدكاكين والبيوت ولم يعلم أنه قبل ذلك وصلها وهدم في العيينة بيوتاً كثيرة وسمى أهل

الدرعية هذا السيل مَوْصَه..» ج ١/ ١٤٧.

١٢ــ ١٢٢٤هـ = ١٨٠٩م ــ «وفيها أنشأ الله سبحانه سحاباً أرعد وأبرق وأمطر وسال منه نواح وشعاب وبلدان كثيرة منها: حكر(١٤) العيينة المعروف امتلأ بالسيل، وسال ماحوله من الشعاب، وسال بعض نخيل سدوس وحريملاء، وعم السيل نخيل بلد الصفرة وجرى وادي ثادق المعروف ببعيثران وسال الحريق والحوطة في ناحية الجنوب وسال الخرج سيلاً غزيراً وعم جميع نخيله وَعَبَّرت حتى أن بعضهم أشفقوا على الحلل والمنازل من الخراب والغرق وكذا الأفلاج.

ووقع هذا السيل مستهل جمادى الثانية في جمرة القيظ عند ظهور الهقعة التي يسميها العامة زابن الجوزا الشمالي التي نوؤها المرزم في حساب أهل الحرث وهو وقت حلول الشمس برج السرطان ــ وهذا لم يعهد في هذه الناحية من أزمان» ج ١/ ١٩٣.

والأسطر الأخيرة في هذه الفقرة من قوله: «ووقع السيل مستهل جمادى الثانية.. الخ تشير بوضوح لمعرفة ابن بشر للحساب الفلكي، ومصطلحاته. وقوله: «زابن الجوزا الشمالي»:

الزّابَن(١٥): على زنة، فَاعَل، واحد الزَّوَابن: كلمة معروفة في نجد لخشبتين توضعان على طرفي الدرَّاجة (دَرَّاجة السانية وهي تحت المحالة. بكرة خشبية مستطيلة) لمنع الريح (خيط من جلود الجمال) من الانزلاق عن الدرَّاجة يميناً أو شمالاً وقد شبه عوام نجد كوكبة الجوزاء (وتسمى أيضاً الجبار Orion) في شكلها العام بهيئة آل السانية على البئر، وشبهوا النجوم الثلاث المتعامدات رأسياً (والعامة تسمى هذه الثلاث النظيم وقد يطلق الاسم على الكوكبة كلها. وهن مع النجوم الباهتة تحتهن يسمين سيف الجبار أو حزام الجبار). شبهوا هذه النجوم الثلاث بالدراجة وجعلوا (الهنعة، رِجْل الجبار) زابنها الأيمن الجنوبي، وجعلوا (الهقعة، وهي إبط الجوزاء، منكب الجوزاء) زابنها الشمالي وهذا رسم إيضاحي لكوكبة الجبَّار (Orion) المعروفة بالجوزاء أو الصياد من واقع رؤيتها في الأفق الشرقي قبل استقلالها في قبة السماء، **الساعة الثامنة ليلة الخميس ٢١/٤/١٤٠٦هـ ١٢ الجدي ١٣٦٤هـ شمسي ٢/يناير/١٩٨٦م**

أ ـ رجْل الجبار (الهقعة) وهي زابن الجوزاء الجنوبي عند العوام.

ب ـ منكب الجوزاء، ابط الجوزاء (الهقعة) وهي زابن الجوزاء الشمالي عند العوام.

١٣ـ ٨ شوال ١٢٣٤هـ = ١٨١٨م ـ «وفيها في ثامن شوال أنزل الله سبحانه سيلاً عظيماً سالت منه غالب بلدان نجد وتدارك الغيث والسيل أياماً وذلك في شهر تموز الرومي وهو وقت اصفرار الثمار واحمرارها فلم يقع منه ضرر عليها وجعل الله فيه بركة» العنوان ج ١/ ٢٩٣.

١٤ـ العشاء الآخرة ١٢٣٦هـ = ١٨٢٠م ـ «وفي تلك الليلة . . . هب ريح عاصف وقت العشاء الآخرة ورؤيت فيها النار، وقيل إنها أحرقت زرعاً محصوداً . . » العنوان ج ١/ ٣٠٣.

١٥ـ ١٢٤٣هـ = ١٨٢٧م ـ «وفيها أرخص الله الأسعار وكثرت الأمطار وفاضت الآبار. فأول مانزل الغيث الوسمي زرع عليه الناس فلما حصد الزرع ونقل في بياده تابع الله سبحانه الغيث على عباده فأعطنت الزروع، فلم يكن للناس شغل إلا نشرها وجمعها، واسود التبن وتغير الحب وأقام الناس على ذلك نحوا من عشرين يوماً كل يوم ينزل الحيا والسيل في آخر النهار وأوله صحو لم ير عليه قزعة[١٦]» العنوان ج ٢/ ٣٧.

١٦ـ العشاء الآخرة، أخر ذى القعدة ١٤٠٦هـ = ١٨٣٠م ـ «وفيها في آخر ذي القعدة هب ريح عاصف وقت العشاء الآخر ورمى نخيلاً كثيرة في سدير وغيره، وأحصى الذي طاح من قريتنا[١٧] أربعمائة نخلة، ومن تقدير العزيز العليم أن أكثر الانكسار في النخلة الشابة الخيسة[١٨] والنخل الكبار العَيْدان[١٩] هو السالم في الغالب، وهذه من الآيات وخوارق العادات التي طمت فعمت حتى قيل إنها كذلك في الأقطار شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً» العنوان ج ٢/ ٥١.

١٧ـ أول ربيع الثاني ١٢٤٧هـ = ١٨٣١م ـ « . . وفي أول ربيع الثاني اجتمع من السيارات خمسة في برج الأسد: الشمس والقمر والمريخ وزحل وعطارد» العنوان ج ٢/ ٥٣.

١٨ـ ١٢٤٨هـ = ١٨٣٢م ـ «. . وفيها حدث بَرْد أضر بالنخيل وقطّرت العبسان دبساً من شدة البرد.

فلما جاء فصل الصيف بأن الخلل في النخيل ويبست أكثر عسبانها، وأما الزرع والقت والنباتات فضرره قليل» العنوان ج ٢/ ٥٨.

١٩ـ ١٢٤٩هـ = ١٨٣٣م ـ «ثم حصل بَرْد أعظم من الأول بحيث أن الماء الذي يقطر من الغروب على الدرَّاج يعترض على حافة البئر كأنه العامود ويجمد الماء في السواقي والزروع، وبين الميزاب والأرض وأضر على النخيل مثل الأول.» العنوان ج ٢/ ٥٨.

٢٠ـ الوسمي ليلة ٢٧ رمضان ٧ برج العقرب ١٢٥٨هـ = ١٨٤٢م ـ «. . وفي هذه السنة ليلة سبع وعشرين من رمضان أنزل الله الغيث العظيم على نجد فسالت منه الوديان وضاقت من جور سيله الشعبان، وعم جميع الأوطان، وكل أهل بلد أشفقوا من الغرق وتضرعوا إلى الله من الخوف والغرق، فكان رحمة من الله للعباد والبلدان ونَقَذاً من بعد السنين الشداد فأجرى به كل واد وكان قد مضى على وادي سدير نحو أربعة عشر سنة ماعم بلدانه سيله وغارت آباره وهلك كثير من نخله. فأخذ وادي منيخ أكثر من خمسة أيام وجرت الأودية كلها بسيل لم يعرف له نظير منذ ثلاثين سنة حتى قيل إن وادي بلد القراين(٢٠) شال صخرة عظيمة في مجراه ولايدري أين رماها. وجرى وادي حنيفة وخرب العامر. وخرب السيل في الفرع والخرج والجنوب وجعل كل عامر دامر، وعم الضراب والآكام وابتهج به الأنام وهذه المنة الجسيمة كلها في هذه الليلة العظيمة وذلك في الوسمي لسبع مضين من حلول الشمسي ببرج العقرب. وكان الناس في غاية الضعف من قلة البذر وقلة العوامل والرجال بعد سنين القحط وتفرق الناس. وأنزل الله لهم مع ذلك البركة العظيمة التي ماظننا ببعضها. . .» العنوان ج ٢/ ١٢٦.

٢١ـ ١٢٥٩هـ = ١٨٤٣م ـ «وفيها حصل بَرْد عظيم في آخر الحميم، على أول دخول الزراع مع طلوع المؤخر، فمات كل زرع لم يشتد في سنبلة وما اشتد في سنبله سلم منه.

وهذا لم يعهد في مثل هذا الوقت.» العنوان ج ٢/ ١٣٧.

٢٢ــ ليلة الجمعة ١٤ صفر ١٢٦٤هـ = ١٨٤٧م ــ «وفيها، وماقبل أولها، منع الله الغيث بحكمته فلم يقع في الأرض حياً في بلدان نجد ولاغيم ولامطر كثير ولاقليل من أولها إلى آخر الشتاء وقت حلول الشمس برج الحوت، فقنط الناس قنوطاً عظيماً لأن الناس يقولون: مانعلم أن السماء عدم فيها الغيم مثل هذه السنة.

فلما كان رابع عشر صفر أنشأ الله الغيم في السماء وقت العصر ولاصار فيه مطر إلا وقت العشاء الآخرة فصب الله الغيث على خلقه فامتلأ كل واد بما فيه وضاقت مجاريه، وخرب السيل في البلدان كثير، فلم يجيء آخر الليل إلا وكل إنسان يستغيث ربه أن يرفعه عنهم. وذلك في الليلة الفاضلة ليلة الجمعة.

ثم عاودهم السيل في رابع عشر ربيع الآخير ليلة الثلاثاء ويومها على أول حلول الشمس ببرج الحمل. فجاء سيل ضاقت منه الوديان وخرب البلدان في نجد.

ثم عاد الحيا على أول دخول جمادى الآخرة واستمر على جميع البلدان المطر نحو أربعة عشر يوماً لم تطلع الشمس وكل يوم معه سيل يجري مصار الماء في وسط منازل البلدان حتى أنه ظهر في مسجد الجامع في بلد المجمعة وسقط أكثر من ثلثه، وظهر الماء في المجالس وبطون النخيل وأعشبت الأرض عشباً لم يعرف له مثيل» العنوان ج ١/ ١٥٦.

● «ختـــــــام» ●

يتضح من هذا الاستعراض الفلكي السريع لكتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) للشيخ عثمان بن بشر جملة محصلات.

١ ــ أن سكان الجزيرة العربية يعتمدون على الله سبحانه، ثم على ماء المطر في كل حياتهم (السقي والزراعة والرعي.. الخ). وأنهم كانوا يعانون الويلات والغلاء والجوع أوقات الجدب والقحط والجفاف وحين الكوارث كالبَرْد الشديد والبَرَد والسيول الجارفة. وكل ذلك خف بل كاد يزول تماماً بفضل الله الكريم وما أنعم به على هذه البلاد من الخيرات

والأرزاق.

٢ ــ أن عامة أهل نجد الأوائل (وبقية كثيرة من الشيوخ الموجودين على قيد الحياة يعرفون حساب الأنواء أو على الأقل مايتعلق منها بمصالحهم المعيشية. وأنه يوجد أناس بين أولئك العامة حذاق وذوو خبرة ومعرفة في الحساب الفلكي الدقيق.

٣ ــ أن حساب الأنواء ومعرفة الأوقات بمطالع الأنجم ومغاربها ضرورة، فرضتها طبيعة الجو الصحراوي المتقلب المكشوف الصافي أغلب أيام السنة من جهة، ومن جهة أخرى معيشة أهله التي تعتمد الزراعة والرعي والصيد وهي أمور تتأثر مباشرة بالأنواء، وتقلب الأوقات والمناخ عامة.

٤ ــ كثير من مؤرخي نجد وعلمائها يحسنون الحساب الفلكي، وإن تفاوتوا قدرة وفي تواريخهم وكتبهم فِقر كثيرة وهامة في هذا الموضوع.

٥ ــ أن الشيخ عثمان بن بشر، وهذا مرتكز هذا الاستعراض، من أولئك المهتمين بعلم الفلك، وخاصة بالحساب الفلكي، وأن له فيه باعاً طويلة، وما حصلتُ عليه وحصرته له في هذا المجال يثبت ذلك، ولكنه لايعطي تصوراً كاملاً للوجه الفلكي لهذا العالم، ولابد أن العثور على آثاره المفقودة (كالإشارة في معرفة منازل السبعة السيارة) و(بغية الحاسب) وغيرها مما ضاع من رسائله ونبذه سيجلو هذه الصورة العلمية المشرقة لدى هذا العالم المؤرخ الفذ، الذي أنقذ أجزاء لايستهان بها من تاريخ بلادنا السياسي والإجتماعي والعلمي والمناخي والاقتصادي.. الخ.

● ● ●

الهوامش :

(١) ينظر لترجمة المؤرخ عثمان بن بشر:
- علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبدالله عبدالرحمن البسام ج٣ ص٧٠١ مطبعة النهضة بمكة.
- ترجمته في (عنوان المجد) طبعة وزارة المعارف ج١ ص١١.

● الأعلام لخير الدين الزركلي الطبعة الخامسة ج ٤ ص ٢٠٩.

(٢) صورة المخطوطة مابين صفحتي ١٦ و١٧ في عنوان المجد ج ١.

(٣) «سبعة كراريس» و«أربعة كراريس» المقتضى سبع وأربع بتأنيث العدد للمعدود ويحتمل أن ابن عيبان اعتبر كلمة كراريس جمعاً مذكراً لكراس لا لكراسة.

(٤) وهو الوقت الذي تستغرقه الأرض لإكمال دورتها من نفس النقطة إليها ثانية حول الشمس. وقلنا تقريباً لأن مدتها المعتبرة (٣٦٥ ١/٤) واسمها الصحيح (السنة المدارية الموسمية، أو السنة المدارية الاستوائية) لأن السنة الشمسية هي: مدة دورة الشمس من نجم ما إلى نفس النجم مرة أخرى ومقدارها [٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و٤ دقائق و٩ ثوانٍ).

(٥) الازياج: جمع يزج جداول حسابية لمعرفة حركات الكواكب والنجوم من سرعة وبطء واستقامة وميول ورجوع وأوج وحفيض.. الخ.

(٦) صورة المخطوطة في عنوان المجد ج١ بعد ص١٦. وكذا رسمت بدون ميم في: عنوان المجد (ترجمة ابن بشر) ج ١ ص ١١ وفي علماء نجد خلال ستة قرون (ترجمة ابن بشر) ج ٣ ص ٧٠١.

(٧) عنوان المجد مقدمة التحقيق ج ١ ص ٩.

(٨) كما أشار ابن بشر إلى هذا الهدف في عنوان المجد ج ١ ص ١٤، ١٥.

(٩) اعتمدت في تحاويل السنين الهجرية القمرية إلى السنين الميلادية الشمسية على جدول (المقارنة بين التأريخين الهجري والميلادي) الموجود بكتاب تقويم الأوقات للفلكي السعودي النجدي الشيخ عبدالله بن إبراهيم السليم مد الله في عمره.

(١٠) عبر ابن بشر في هذه التقييدة فقط بكلمة (كسف) للقمر بدلاً من خسف والعامة في نجد لايستعملون كلمة (خسف) أبداً بل يعبرون بكسف للقمر والشمس على حدٍ سواء وفي القاموس المحيط مادة كسف ج ٣ ص ١٣٢ (دار الفكر): «... والقمر كسف. أو كسف للشمس وخسف للقمر أو الخسوف إذا ذهب بعضهما والكسوف كلهما».

(١١) أقصد عند العامة في نجد في وقت المؤرخ ابن بشر وحتى وقتنا وإلا فالحساب الفلكي، كما هو معلوم، معروف لدى كل الحضارات.

(١٢) والعامة عندنا في نجد يقولون: (إن ظهر سهيل فتلمس التمر في الليل) كناية عن تكاثر بضوجه في عذوق النخل بعد طلوع سهيل.

(١٣) يلاحظ القارىء الكريم أن ابن بشر عبر عن هذا الوقت بلفظين سمى واحد (دالوب، دولاب).

(١٤) حَكْر: حاجز لصد مياه الأمطار وتجميعها بمعنى (سد).

(١٥) والكلمة عربية سليمة مأخوذة من الزبن وهو الدفع قال صاحب القاموس المحيط (دار الفكر ج ٤ ص ٢٣٠ مادة زبن): «الزَّبْنُ كالضرب الدفع وناقة زبون دفوع وحرب زبون يدفع بعضها بعضاً وزابنه دافعه». ا.هـ وهاتان الخشبتان وصفتا لمدافعة خيط الجلد (السريح) الذي يمر على الدراجة عند الانزلاق ذات اليمين وذات الشمال.

(١٦) قزعة قطعة الغيم الصغيرة عربية سليمة قال الفيروز آبادى في القاموس (ج ٣ ص ٦٨ مادة قزع): «... والقَزَع محركة قطع من السحاب الواحدة بهاء. وفي كلام علي رضي الله عنه: كان يجتمع قَزَعُ الخريف». ا.هـ.

(١٧) قرية ابن بشر هي (جلاجل) بسدير.

(١٨) الخيسة: جمعها خيس وهي فراخ النخل وصغاره بقدر قامة الرجل فأقصر وهي عربية الأصل جاء في القاموس (ج ٢ ص ٢١٣ مادة خيس): «... الخيس بالكسر الشجر الملتف» ا.هـ وعادة يكون الخيس متكاثراً ملتفاً حول أمهاته.

(١٩) العَيْدان: جمع عَيْدانه عربية سليمة وفي القاموس ج ١ ص ٣١٩ «والعَيدان بالفتح الطوال من النخل واحدتها بهاء» ا.هـ.

(٢٠) وادي بلد القراين: العنبري نسبه لبني العنبر من تميم.

(٢١) الفرع: قال محقق عنوان المجد في الحاشية ج ٢ ص ٣٧: «الفرع قرى وادي بريك وهي: حوطة بن تميم والحريق ونعام والحلوة ويفجر والقويع والعطيان والصدر».